التأليف المعجمي – الماهية والتاريخ

الدكتور : ماجد أبو ماضي
عضو مجمع اللغة العربية
بدمشق - سوريا

يتألف المحور المقترح للمداخلة من أربعة كلمات، وهي: التأليف، والمعجمي، والماهية، والتاريخ. وهذه الكلمات تمثل شقين أساسيين في بناء نص المداخلة، كل منهما يكمل الأخر فالشق الأول من عنوان المحور يعالج التأليف المعجمي، بينما الجزء الثاني من محور المداخلة ، يتناول تداعيات التأليف المعجمي، والصناعة المعجمية في اللغة العربية.

وكذا البحث عن مدلول لفظة المعجم، وما يراد منها وبمعناها من حيث الدلالة، هل تأليف المعاجم علم أم صناعة ؟ وبخصوص الماهية التي تعد جسد كل معجم ومادته الأساسية مهما اختلفت لغته، فلا وجود للمعجم إلا بوجود مادته المعبرة عن معاني ذات دلالات هادفة وموحية لغرضها المقصود الذي وضعت من أجله.

واللفظة الأخيرة من المحور الأول المقرر في برنامج المداخلة بعد ذكر عنصر الماهية، وردت كلمة تاريخ ، ولعل المراد بها تاريخ نشأة هذه المعاجم العربية، والمراحل التي مرت بها، وأنواعها، والمناهج التي خضعت لها وفق نظرة أصحابها ومؤلفيها.

ولمعالجة الموضوع فضلت ولوجه من اللفظة الثانية للجزء الأول من المحور، وهي: **المعجم** ، والمعجم يمثل المحور الرئيس لهذه المداخلة المتواضعة.

لماذا بدء البحث بكلمة المعجم ؟ والجواب في اعتقادي لايمكننا الشروع في التأليف المعجمي ، ولا معرفة ماهية المعجم قبل معرفة المعجم نفسه من حيث الدلالة المعجمية والاصطلاحية .

التعريف الاصطلاحي للمعجم:

1. المعجم أو القاموس: هو كتاب يحتوي على عدد كبير من مفردات اللغة قد تصل إلى ألاف الكلمات مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا ؛ إما على حرف الهجاء ، أوالموضوع ، والمعجم الكامل هو الذي يضم ألاف الكلمات من اللغة ، مصحوبة بشرح معنى كلّ كلمة واشتقاقها وطريقة نطقها ، وشواهد تبين مواضع استعمالها منتقاة ، ومرتبة وفق منهج معين وطريقة خاصة تم اختيارها من قبل صاحب المعجم، أوالهيئة إن كان المعجم صادرا عن جماعة أو هيئة مثل: المعجم الوسيط . وأيسرها تداولا ما رتبت موادها ترتيبا ألف بائيا ، وتهتم المعاجم اللغوية بمعنى ومبنى للمفردات التي هي مادة المعجم ، وأهم ما في المعاجم اللغوية اللفظ والمعنى . [1]

1 - المعاجم العربية بداءتها وتطورها ص09 ،د / راميل يعقوب ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط01 ،1981م ، والمعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص09 د / محمد أحمد أبوا لفرج ط01، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .، وكلام العرب من قضايا اللغة العربية ص121،

كما أن المعجم هو المرجع الذي لاغنى عنه في كل بحث، وهو الذي يمد اللغة بمادة عملها، وهي الكلمات المختزنة في ذاكرة المجتمع. ولما كان إعجام الحروف بمعنى إزالة الإبهام والغموض في دلالة أشكالها المتشابهة على أصوات متباينة ، فإن من هذه الدلالة جاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معاني الكلمات وغموضها بالمعجم .[2]

بعد هذا التعريف الاصطلاحي، يمكننا أن نعرج على مدلول كلمة معجم، والقاموس، لماذا سميا كل منهما بهذه التسمية ؟. والجواب تجيب عنه معاجم اللغة العربية نفسها ، أو قواميس اللغة .

التعريف اللغوي لمصطلح المعجم:

جاء في أساس البلاغة لجار الله الزمخشري (ت 538هـ) لفظة " عجم ،أعجم كتاب فلان أعجم: إذا لم يفهم ما كتب، والمَعْجَم:لمن إذاعجمَتْهُ الأمور وجدته متينا[3].

وقال ابن فارس: عَجَمَ، و عَجُمَ: العين والجيم والميم ثلاثة أصول:

أحدها يدلّ على سكوت وصمت ، والآخر على صلابة وشدة ،والآخر على عضيّ ومذاقة، فالأول الرجل الذي لا يفصح، وهو أعجم ، والمرأة عجماء بينة العجمة . ويقال الأعجمي : الذي لايفصح وإن كان نازلا البادية . وهذا عندنا غلط، وما نعلم أحدا سمي أحدامن سكان البادية أعجميا، كما لا يسمونه أعجميا.

والعجماء البهيمة ، وسميت عجماء ؛لأنها لا تتكلم ، وكذلك كل من لايقدرعلى الكلام فهو أعجَمُ ومستعجم ، وأريد بحروف المعجم حروف الخطّ المعجم .[4]

وعَجَمَ: الحرفَ والكتابَ عَجْماً: زال إبهامه بالنقط والشكل، وكذلك عجم الكلام وإذا لم يكن فصيحا. فهو أعجم ، وهي عجماء جمع عُجْمٌ ,

وكلمة "عَجَمَ ":العُجْمُ والعَجَمُ: خلاف العُرْبِ والعربِ ، والأعجم الذي لايفصح ، ولا يبين كلامه، وإن كان عربي النسب ، فأما الأعجمي فالذي من جنس العجم ، أفصح أم لم يفصح .[1] وإذا لم يكن فصيحا فهو أعجم ، وهي عجماء جمع عُجْم وأعجم الكلام أبهمه وذهب به إلى العجمة ، خلاف أعربه. والمعجم: ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم. [2]

أما ورود كلمة "عجم" في القرآن الكريم فقد تكررت ثلاث مرات. قال تعالى: {ولقد نعلم أنّهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجميّ وهذا لسان عربيٌّ مبين }.[3]

د / حسن ظاظا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان ،1976.

2 - أصول اللغة العربية حروف المعجم /ص 42 - 43،أحمد زرقه، منشورات دار علاء الدين ، ط01،دمشق .

3-

4 – مجمل مقاييس اللغة 4 / 239-241، بتحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت لبنان .

1 – لسان العرب لابن منظور 9 / 67 ،نسق وعلق عليه ووضع فهارسه علي مشري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان .

2 – المعجم الوسيط 2/ 586، مجمع اللغة العربية، ط02، مطابع دار المعارف بمصر.1393هـ -1973م .

3 – النحل103، و سورة الشعراء 198، وفصلت 46.

إن المتتبع للفظة"عجم"من خلال تعارفها اللغوية في المعاجم التي اعتمدناها في هذه المداخلة ، فإنه يرى أنها متقاربة في دلالاتها إلى حد كبير، وإن كان هناك فرق وإنما هو بسيط، مرده يرجع إلى الكيفية التي تمت بها تناول المادة لدى اللغويين أثناء الشرح ولتحليل، وضرب الأمثلة قصد التوضيح، وتقريب معنى الكلمة إلى القارئ.

عرفنا بأن العرب قد تناولوا مفردات لغتهم وفق مصطلح المعجم، ومصطلح القاموس. وبعدما عالجنا مفهوم لفظة المعجم لغويا، فإننا نتقل للبحث عن كلمة القاموس ضمن معاجم اللغة. قال ابن فارس: "قَمَسَ" القاف والميم والسين أصل صحيح يدل على غمس شيء في الماء، والماء نفسه يسمى بذلك. من ذلك قمست الشيء في الماء : غمسته. ويقال :إنّ قاموس البحر: معظمه.[4] والقاموس: قعر البحر، وقيل: وسطه ومعظمه.[5] والقاموس البحر العظيم ، وعلمٌ على معجم " الفيروز أبادي" [6]

بعد هذا التعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة المعجم والقاموس، تبقى لفظة القاموس التي تعني البحر، أو البحر العظيم، أو وسطه، أو معظمه، أو أبعد موضع فيه غورا. ويظهر أن بعض علماء العربية الأقدمين الذين حاولوا جمع اللغة وفضلوا أن يسموا مؤلفاتهم اسما من أسماء البحر، أو صفة من صفاته، وظهرت اللفظة عندا الصاحب بن عباد(ت385 هـ 995م) أطلق على معجمه اسم المحيط ، وعقبه ابن سيد ة الأندلسي (ت458هـ 1066م) ، فأطلق على معجمه اسم " المحكم والمحيط الأعظم)، وأطلق الصاغاني (ت 650 هـ - 1252 م) على معجمه العباب أو مجمع البحرين .

ثم جاء الفيروز بادي (729-817هـ) وصرح:قائلا (وأسميته القاموس المحيط)؛ لأنه البحر الأعظم،[1] ويعني بذلك معجمه ، وكان لهذا المعجم سمعة طيبة نالت إعجاب العلماء وطلاب العلم، ولفظة مصطلح معجم فتاريخها غير معلوم، ولا نعرف من أطلق هذه اللفظة بالمعنى المتعارف عليه من اللغويين على معاجم اللغة. وقد أشار الدكتور إميل يعقوب إلى أن الكلمة كانت من توظيف رجال الحديث الشريف ، فهم أول من استعملوها ، وفي مقدمتهم الإمام البخاري(ت256هـ) وضع أحد كتبه على " حروف المعجم " ثم لحقه أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى (ت298هـ - 919م) وضع معجما سماه "عجم الصحابة " وهكذا شاع استعمال الكلمة عند المحدثين، وتناقلها عنهم اللغويون.[2] ومصطلح القاموس يعني المعجم من حيث الوظيفة الأدائية التي يقوم بها في حفظ وتخزين مفردات اللغة .

---

4 – معجم مقاييس اللغة 5 / 26 .
5 - لسان العرب 11 / 302 .
6 – معجم الوسيط 2 / 758.

1 – القاموس المحيط 3/1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .
2 – المعاجم اللغوية بداءتها وتطورها ص13،12. .

الغاية من تأليف المعاجم العربية والأسباب من تأسيسها:

تعد المعاجم أو القواميس اللغوية ديوان جمع وتخزين المفردات التي تعتبر رصيدا لغويا من صنع البشر، سواء أكانت تلك المفردات قديمة أم حديثة. فإن الغاية من جمعها في المعجم هو:

1 - حفظها من الاندثار والزوال على مر الزمان وتعاقب الأعوام والقرون ؛لأن اللغة تحيا بالاستعمال وتموت بدونه ،واللغة ظاهرة اجتماعية تتقادم ألفاظها بمرور الوقت ، فتولد ألفاظ ، وتصير أخرى في طي النسيان ، ويتضاءل تداولها على ألسنة الناطقين بها ، فقد تختفي ولا يبقى لها أي مأوى يأويها سوى المعاجم تحتضنها ، فيرجع إليها من أستبهم عليه فهم كلمة ما أثناء الوقوف على دراسة نص لغوي ما ، أو في خطاب ما .

2 - والحفاظ على ديمومة المفردات يثبت بقاء ووجود أمة ومجتمع له نصيب من الموروث الحضاري اللغوي الذي يمكن أن يعتز به أمام الأمم في هذا المجال.

3 – وتنفرد اللغة العربية عن أخواتها السامية ، وغير السامية على أنها لغة أعظم كتاب سماوي، نزل بها القرآن الكريم على سيد العرب والعجم. ولعظمة كتاب الله واللغة التي نزل بها، قام تأسيس الدرس اللغوي في عصر التدوين على جمع مفردات اللغة من ألسنة الرواة واللغويين والحفظة للاستعانة بها على تفسير ما أستبهم من ألفاظ ومعاني القرآن حتى على كبار اللغويين المفسرين المتمكنين منهم. والعمل بهذه المفردات في مجال الحقول الأدبية. وكان ذلك العمل في عملية الجمع سببه وازع ديني في المقام الأول؛ لأن القرآن نزل بلغة عربية اللسان، فصيحة البيان تحدى الله -عز شأنه – العرب ولغتهم بما اشتمل عليه القرآن الشريف من لغة وألفاظ لم يستعملوها، ولم يسمعوها من قبل. وفصاحة لاتماثلها أي فصاحة . والسيرة النبوية العطرة شاهدة على ذلك .

جاء على لسان " عتبة بن أبي ربيعة " وهو من جهابذة الفصاحة والبلاغة عند قريش في جاهليتها، وبعد ما رجع من المهمة التي فوضته فيها قريش بصفته مبعوثا عنها إلى- الرسول صلى الله عليه وسلم- لتقديم بعض الإغراءات للنبي من أجل الكف عن الدعوة ، ومحاورته الرسول من جهة أخرى. وبعد ما انتهى من عرض تلك الإغراءات أسمعه النبي آيات شريفات من سورة " فصلت " فأبهرته، وكاد أن يدخل الإيمان قلبه، وناشد الرسول أن يتوقف عن القراءة ، وعند عودته إلى قومه، تكوف من حوله كبراء قريش ، وهم في دهشة من أمرهم ضانين أن مبعوثهم عاد إليهم وقد اصبأ ، فلما جلس إليهم ، قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال: ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه فاوالله ليكنن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم .[1] إلى غير ذلك .

1- السيرة النبوية لابن هشام 1 / 294 -295، حققها وضبطها ووضع فهارسها، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري ،عبد الحفيظ شبلي، دار المعرفة بيروت لبنان .

2 – النثر الفني ومذاهبه في التراث العربي ص 44، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط07، ومنهج البحث اللغوي ص59، محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإزريطة الإسكندرية مصر .

وفي رواية أخرى يقول عتبة : والله ماسمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنس والجن، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق .[2]

كانت هذه شهادة كافية شافية تثبت عظمة كلام الله المتمثل في لفظ القرآن وأسلوبه وبلاغته وإعجازه المبهر للعقول والنفوس، وما اعتراف كبار لغوي قريش وإعجازهم أمام التحدي الإلهي إلا دليل على عجز الإنسانية جمعاء من قوة القرآن، ويستثنى الهادي صاحب الوحي من ذلك. كان هذا عاملا من العوامل الريسة التي عجلت إلى جمع المفردات ، من أجل الاستعانة بها على تفسير كلام الله – جل شأنه

4 - العامل القومي: هوا لأخر حفز اللغويين على جمع اللغة في عهد الاحتجاج؛ لأن الأمصار العربية في هذه المدة كانت تعج بنوع من الحماس العرقي، والفكري الذي غذته الشعوبية، وبرع فيهم الشاعر واللغوي والعالم والناقد ، وأصبحوا يفتخرون بمناقبهم وعرقهم وثقافتهم، فما كان إلا أن يجدوا من يردوا عليهم بالحجج المقنعة والأدلة الدامغة من خلال هذه اللغة ، ومن بينهم الجاحظ (ت256هـ) في كتابه البيان والتبيين .[1]

5 – العامل الاجتماعي : عنصر آخر كان وجوده حاضرا، في عملية جمع اللغة والتأليف ، وهذا الجانب دافعه رغبة العربي وحبه للعلم والتعلم ، وخاصة فإن دينه حثه على القراءة والتعلم في وقت عرفت فيه الأمة العربية والإسلامية استقرارا سياسيا واجتماعيا ، ورخاء ماديا ،وتشجيعا من قبل الحاكم للعلم والعلماء ، إلى أن سمي العصر بالعصر الذهبي ،كانت هذه أهم العوامل التي دفعت العرب إلى التأليف المعجمي ، وهناك عوامل عامة تخص تأليف المعاجم قاطبة ، ومنها المعاجم العربية، سنشير إلى بعض تلك الدوافع التي دفعت الإنسانية إلى كتابة المعاجم .

مادة المعاجم اللغوية:

مادة المعاجم اللغوية هي المفردات، والكلمات، و مصادرها القرآن فيه مفردات واستعمالات كانت أصح مصدر لعلماء اللغة والأدب والفقهاء ،بما جاء به من مفردات جديدة لم يسمعها العرب من قبل، والحديث، والأدب القديم بشعره ونثره، وأخباره ، وأمثاله ، وحكمه ، وأقواله المأثورة ، والدخيل المعرب، و ما يستجد من جديد من ألفاظ، كالذي تعمل به المجامع اللغوية العربية، و معجم الوسيط خير مثال يقتدى به على ذلك.[2]

اللغة التي ألفت منها المعاجم:

كل المعاجم تتقاطع في نقاط مشتركة في التأليف والبناء، وقد تتفاوت فيما بينها في اختيارا لمادة المعتمدة، إلا أن هذا الاختيار فإنه يهمل ويهدر الكثير من المفردات، مثل الغريب، والوحشي، والدخيل،

1 – البيان والتبيين 19/2 ،الجاحظ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، وضحى الإسلام 1/ 55-57،أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط10.
2 – أصول اللغة العربية حروف المعجم ص33،وضحى الإسلام 2 / 255 .

والمبهم. وأهم ما تشترك فيه المعاجم اللغوية هو: الفصيح الذي كثر استعماله في ألسنة العرب الموثوق بعربيتهم .بينما الغريب والمبتذل ، والوحشي ، والدخيل، فقد تفاوتت المعاجم فيما بينها في تقييده ، وإنما جاء تدوينه في بعض المعاجم من باب معرفته عند الحاجة إليه ، وإن كان المبتذل صادرا عن العامة.

شروط الجمع و تقييد المفردات:

اشترط اللغويون والمعجميون شرطا خاصا بهم في جمع مفردا ت اللغة العربية في مرحلة الجمع. وهذه الشروط تتجسد في أبعاد ثلاثة و هي:

1 - البعد الزمني. يعتمد فيه على ما تناولته العرب من ثروة أدبية ولغوية منذ العصرالجاهلي إلى نهاية القرن الثاني الهجري بالنسبة لفصحاء الأمصار والحضر، وإلى أواسط القرن الرابع بالنسبة إلى فصحاء البادية والمناطق البعيدة عن التأثر باللحن

2 - والبعد المكاني. تمثل في تحديد مناطق و بيئات جغرافية، يرجع إليها في عملية السماع و الجمع والتدوين. وتم بالفعل تحديد القبائل العربية - ضمن الحيز الجغرافي المحدد - التي اعتمدت لغتها في الجمع لما عرفت به من فصاحة، وسلامة لسانها، و بيان كلامها. و القبائل التي تم الأخذ منها كما ذكر أبو نصر الفارابي في كتابة (الألفاظ و الحروف) قال: أشهر القبائل التي أعتمد عليها في الرواية والجمع هي: (كانت قريش أجود العرب انتقاء لأفصح الألفاظ، و أسهلها على اللسان، و أحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس. و الذين نقلت عنهم العربية و بهم أقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين القبائل العربية هم: قيس، وتميم، و أسد. فإن هؤلاء هم اللذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب و في الإعراب و التصريف.

ثم هذيل و بعض كنانة و بعض الطائيين . و لم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل. و بالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، و لا عن سكان البوادي ممن كان يسكن أطراف البلاد المجاورة لسائر الأمم وحولهم).[1]

وكان أقطاب ومشاهير علماء البصرة سباقين إلى جمع اللغة ، وفي مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، وتلاميذه أمثال الخليل بن أحمد (ت175هـ) .

1 - مولد اللغة العربية ص 122- 123، أحمد رضا، قدم له و علق عليه ولده د/ نزار رضا، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان، 1403هـ - 1983م، ومن تاريخ النحو ص20-21، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط02، 1398هـ - 1978م ، و تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول1 / 118 ،شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر، وضحى الإسلام2 / 246، أحمد أمين، و فقه اللغة ص171، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، العجالة ، القاهرة ، ط07

2 - من تاريخ النحوص23 ، سعيد الأفغاني ، والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ً ص 28 ، أحمد بن فارس ، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج ، دار الفكر العلمية بيروت لبنان ، ط01، 1418هـ - 1997م.

ويونس بن حبيب (ت 183هـ) وغيرهم . وهذه شهادة أخرى لأبي عمرو بن العلاء تعزز شروط الجمع التي سبق الحديث عنها عند هؤلاء اللغويين العمالقة ، قال: (لأقول قالت العرب (....) إلاّ ما سمعت من عالية السافلة، وسافلة العالية)، يريد مابين نجد وجبال الحجاز، حيث قبائل أسد وتميم وبعض قبائل قريش.[2]

الكيفية التي تم بها جمع اللغة:

تم جمع اللغة العربية بمراحل منها:

1 - المرحلة الأولى. تم التركيز على جمع ألفاظ القرآن ، والحديث النبوي الشريف ، والأدب العربي القديم شعره ونثره ، وأخباره ، وأمثاله كيفما كانت ، ومهما إختلفت مسمياتها ، وتنوعت دلالاتها ، وتم في هذه الفترة تأليف الرسائل اللغوية الصغيرة التي تستقل بمعنى معين أو موضوع معين أو جنس معين من أجناس النبات أو الحيوان مع بعض الشروحات والتذييلات مثل : كتاب اللبأواللبن للأبي زيد الأنصاري (ت213هـ) ، وكتب الخيل والإبل والشاء للأصمعي(ت213هـ) ، وكانت هذه المؤلفات بمثابة النواة لتأليف المعاجم اللغوية ذات المعاني التي ألفت في المرحلة اللاحقة [1] ورواتها فأهل البادية مقدمين على غيرهم ، وأفضلهم القبائل التي سبق ذكرها .

2 – المرحلة الثانية . تم فيها جمع الكلمات ذات الصلة بموضوع واحد ومسمى واحد، أي: الكلمات ذات المعنى المتقارب، وأول من ألف في هذا النوع من المعاجم أبو يعقوب بن إسحق بن السكيت (ت 224هـ) وكتابه يضم أكثر من مائة وخمسين بابا ، وكل باب اختص بمعنى من المعاني ويحتوي على المفردات التي تعبر عن جميع أحوال هذا المعنى ودرجاته .[2]

وهذه المؤلفات تشبه إلى حد كبير ما يطلق عليه اليوم بالحقول الدلالية في المفهوم الحديث .
3 – المرحلة الثالثة. تمثل هذه المرحلة قمة نضج صناعة معجم كامل شامل لكل الكلمات العربية، واتخذ نمطا ومنهجية خاصة به في ترتيب المادة اللغوية.

وكان الخليل بن أحمد هو من ابتكر تأليف هذا النوع من المعاجم.[1] فكان بذلك ميلاد أول معجم شامل، وهو " معجم العين " .إذ رتب مادة المعجم ترتيبا بحسب مخارج الحروف وهي طريقة مبتكرة من إبداع هذا الرجل الفذ الذي قال فيه ابن المقفع : (رأيت رجلا عقله أكثر من علمه). [2]

1 – ابن سلام وطبقات الشعراء ص(198- 202)، تحقيق منير سليمان، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية. 1997م
2 - عبقري من البصرة ص27 ، مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ط02، 1406هـ - 1986م.

كل المصادر والمراجع اللغوية تجمع على أن الخليل بن أحمد هو أول من ابتكر تأليف معجم لغوي في تاريخ تأسيس المعاجم، وكان عمله هذا قد أنار به الطريق للباحثين اللغويين لصناعة المعاجم. فجاء من بعده المعجميون وتشجعوا بعمل الخليل بن أحمد، فمنهم من انتهج منهجه في الترتيب، ومنهم من خالفه في طريقة ترتيب مادة معجمه وهم كثر، نذكر أهمهم عبر التاريخ الإسلامي.

أشهر المعاجم اللغوية منذ عصر الخليل إلى عام 1960م.

المعجم	صاحبه	تاريخ تأليفه
1 - العين	الخليل بن أحمد	175هـ
2 الجمهرة	ابن دريد	231 هـ
3 - تهذيب اللغة	أبو منصور الأزهري	370 هـ
4 - المحيط	الصاحب بن عباد	385هـ
5- مقاييس اللغة	ابن فارس	395هـ
6 - والمجمل	ابن فارس	395هـ
7 - الصحاح	الجوهري	400 هـ
8 - المحكم	ابن سيدة الأندلسي	458هـ
9 - المخصص	ابن سيدة الأندلسي	458
10 - أساس البلاغة	الزمخشري	538 هـ
11 - العباب	الصغاني	650 هـ
12 –مختار الصحاح	الرازي	760هـ
13 - لسان العرب	ابن منظور	711 هـ
14 – القاموس المحيط	الفيروز أبادي	817هـ
15 - تاج العروس في شرح ألفاظ القاموس	الزبيدي	1205هـ
16- المحيط	بطرس البستاني	1283هـ
17- و قطر المحيط	بطرس البستاني	1283هـ
18 – أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد	الشرتوني	1325هـ
19 – المنجد	الأب لويس معلوف	1326هـ
20 – المعجم الوسيط	المجمع اللغوي في القاهرة	1960-1961م [1]

1 – المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص25-26 . والمعاجم اللغوية بداءتها وتطورها ص 30-31 .

كانت هذه أهمم وأشهر المعاجم والقواميس اللغوية في تاريخ التأليف المعجمي، وهناك بعض المعاجم لم نشر إليها، وهذا ليس من باب التقليل من شأنها؛ وإنما تجنبا للإطناب والإسهاب.

كيفية ترتيب مادة المعاجم

تعددت طرق ترتيب مواد المعاجم اللغوية عند المعجميين، ولم تتخذ منهجا واحدا في عملية ترتيب المادة التي تعد مهما من العناصر الخمسة الأساسية التي تدخل في منهجية تنظيم المعجم أو القاموس ، فبعد جمع المادة، واختيار المداخل الملائمة لكل معجم ، ثم أهم خطوة التي نحن بصدد الحديث عنها وهي ترتيب المادة وفق نظام معين يكون قد اختاره صاحب المعجم لمعجمه ، وبعد تعقبها كتابة المواد ، ثم نشر المعجم وإخراجه للقراء وللجمهور المتعطش للمعرفة . [1]

إن أهم ما يميز المعاجم العربية هو اعتمادها أصل الكلمة أساسا أي: (جذر اللفظة) في عملية الترتيب، كان ذلك قاسما مشتركا في منهجية العمل عند المعجميين قد وحد بينهم في هذا الاتجاه ،فحين فرق بينهم ترتيب المادة المعجمية ،مما خضع ترتيبها إلى طريقتين أساسيتين، تم اعتمادهما في ترتيب كلمات المعاجم العربية عبرا لتاريخ الطويل. والطريقتان هما:

1 – الترتيب الهجائي المشرقي المعروف لدينا اليوم، والمنسوب إلى نصر بن عاصم (ت89هـ)، أو يحي بن يعمر(ت129 هـ) في عهد ولاية الحجاج بن يوسف على بغداد و بأمر منه ، وهذا الترتيب هوا لمعمول به في ترتيب مادة المعاجم العربية منذ عهد ابن دريد(ت321هـ) في معجمه الجمهرة ، وابن فارس (ت392هـ) في المقاييس والمجمل ، والزمخشري (ت538هـ) في معجمه أساس البلاغة. وقد سبق هذه الجماعة في اعتماد الترتيب الألف بائي في صناعة المعجم أبو عمرو الشيباني (ت206هـ) صاحب كتاب الجيم. [2]وكانت هذه المدرسة خالفت الترتيب الصوتي المخرجي الخليلي . ولما انتشر التعليم العربي في مختلف الأماكن مع الفتوحات الإسلامية ، ظهر ترتيبان ، واحد عمل به أهل المشرق العربي ، والآخر عمل به أهل المغرب العربي، وسمي بالترتيب الأندلسي، وهما في الأساس لايختلفان في الرسم ؛ وإنما يختلفان بعض الشيء في ترتيب الحروف الهجائية المنتهجة لدى كل فريق فقط . [3]

2 – والترتيب الثاني : وهو الترتيب الصوتي الذي ابتكره الخليل بن أحمد الفراهيدي لمعجمه "العين"، وخالف فيه نظام ترتيب الحروف لنصر بن عاصم، واعتمد الترتيب الصوتي لمخارج الحروف لمعجمه، بحيث بدأ بالحروف الحلقية : (ع ، ح ،هـ ، خ ، غ)،ثم اللهوية(ق،ك) ثم الشجرية (ج،ش، ض) ، و الأسلية (ص، ز، س) و النطعية (ط، د، ت)، واللثوية (ظ ، و ث ،ذ)، و الذلقية (ر،ل، ن) ، والشفوية ،(ف، ب، م)،وآخرها الحروف الهوائية (ا، و ،ي أ). [1]

---

1 – مدخل إلى علم اللغة ص102، د / محمد حسن عبد العزيز دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ - 2000 م.
2 – مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ص164، د / حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الناشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط01، 1997م ، بيروت لبنان .
3 - المجمل في المباحث الصوتية من اللآثارالعربية ص87،د / مكي درار، دار الأديب للنشر والتوزيع، ط02، وهران.
1 – عبقري من البصرة ص36،د / مهدي المخزومي .
2 – مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ص120، والمعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث. ص 41،40، وأصول اللغة العربية حروف المعجمص55 .

وسار على هذا المنهج في اعتماد مخارج الحروف كل من أبي علي القالي (ت356هـ) في معجمه البارع، والأزهري (ت370هـ) في التهذيب، والصاحب بن عباد (ت 385هـ) في المحيط، وابن سيدة (ت458هـ) في المحكم، والزبيدي (ت1205هـ) في مختصرا لعين . [2]

مميزات المعاجم التي اعتمدت الترتيب الصوتي:

يمتاز هذا النوع من المعاجم بأنها تذكر تقاليب الكلمة ، وهو ما يعرف بنظام التوافيق الرياضية ، فالكلمة " جَلَسَ " يأتي منها : جلس، لجس، سجل،سلج،جسل،لسج. وبذلك نتج عنها ست تقلبات، والكلمات الرباعية ينتج عنها أربعة وعشرون تقلبا، والخماسية مائة وعشرون تقلبا، وكانت هذه المعاجم تعتمد المستعمل منها وتشير إلى المهمل الذي لم يستعمل في لغة العرب.

أما المعاجم التي تربت مادتها وفق الترتيب المعجمي، فقد انقسمت هي بدورها إلى قسمين:

1 -منها ما جعل الحرف الأول للكلمة أساسا مثل : أساس البلاغة لجار الله الزمخشؤي ، والمعجم الوسيط الصادر عن المجمع اللغوي .

2 - ومنها ما جعل الحرف الآخر أساسا مثل:الصحاح للجوهري ، وقاموس المحيط للفيروز أبادي ، ولسان العرب لابن منظور.[3]

لماذا تؤلف المعاجم ؟

تكاد تتفق آراء الباحثين اللغويين على أن الغاية التي ألفت من أجلها المعاجم هي:

الترجمة فكانت المعاجم الزوجية، أو ثنائية اللغة هي أقدم ما ألف في تاريخ حياة المعاجم، أي: تلك المعاجم التي تجمع ألفاظ لغة أجنبية مخالفة لها في النطق والكتابة، وتحاول أن تعرف بها كلمة كلمة لفظا، مع التركيز على المعنى، مثل تأليف معجم عربي فرنسي، أوعربي إنجليزي، وهذا النوع من المعاجم عرف في العراق منذ القديم.

يعود تاريخه إلى أكثر من ثلاثة ألاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، منذ أن تعلم الساميون اللغة السومرية، وترجموا أساطيرها وشرائعها وأد آبها إلى لغتهم الأكادية السامية، فوجدوا أنفسهم مضطرين إلى وضع معاجم لغوية زوجية .[1]

والسبب الرئيس في تأسيس المعاجم الزوجية هو معنى اللفظ في اللغة الأجنبية، والذي كان يصعب فهمه بالنسبة لمتعلمي اللغة الثانية.

والسبب الثالث في تأليف المعاجم أساسه المعاني النادرة لبعض الألفاظ للغة الأم نفسها، ومن جهة أخرى التركيز على المعنى ومن جهتي نظر مختلفة ؛لأن كل مجتمع معني بتسجيل مفرداته قصد تقييدها لأجياله ، ومن حق الأجيال أن تطلع على ما خلفه الآباء من ألفاظ لايفهمونها إطلاقا، فادعت الحاجة إلى معاجم تقيد المفردات وتقوم بشرح غريب لفظها، والاستعانة بتلك الشروح في الحاضر على ما غمض من معاني .[2]

---

1 -المعاجم اللغوية بداءتها وتطورها ص14.

3 - معاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص43 ،

1 – كلام العرب من قضايا اللغة العربية ص 64، 65.

2 – اللغة العربية معناها ومبناها ص 313، 314، د / تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

3 - أصول اللغة وحروف المعجم ص48، وكلام العرب من قضايا اللغة العربية ص125،124.

أنواع المعاجم العربية :

تعددت أنواع المعاجم بتعدد مدارسها، ونظرا لكثرتها سنوجز الكلام، ونختصر القول على ذكرها: دون عرض خصائصها بالتفصيل، وإلا يطول بنا الحديث أكثر من اللازم، وهذه المعاجم هي :

1 - المعاجم الزوجية أو ثنائية اللغة ، وهي أقدم في تاريخ تأليف المعاجم، وهي تحدد لمفاهيم بين ألفاظ اللغة القومية ولغة أجنبية ، وهذا النوع من المعاجم جد مهم في عصرنا هذا بسبب الارتباط التجاري ، والاقتصادي ، والمصالح المشتركة بين الأمم والشعوب فيما بينها ، فهي في حاجة ماسة إلى هذا النوع من المعاجم .

2 - المعاجم اللغوية، أو لأبجدية: وتقوم بشرح الألفاظ ليستعين بها الباحث على معرفة معنى اللفظة التي يريدها.

3- المعاجم الموضوعية ، ويطلق عليها المعاجم التجانسية ، أو معاجم المعاني ، وهذا النوع من المعاجم تم إنشاؤه عند العرب منذ وقت مبكر، مثل: فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت429هـ) ، والمخصص لابن سيدة (ت428هـ) يمثل قمة المعاجم الموضوعية بالنسبة لزمانه .[3]

4 -المعاجم الاشتقاقية أو التأصيلية ، أو التأثيلية ، وهذا النوع من المعاجم يبحث في أصول ألفاظ اللغة .

5 – المعاجم التاريخية أو التطورية، وهذا النوع من المعاجم يولي أهميته إلى تتبع دراسة تطورا لألفاظ و معانيها عبر التاريخ.

6 – معاجم التخصص، أو معاجم المصطلحات: وهي المعاجم التي تجمع مصطلحات علم معين، قد يتعلق بالزراعة أو بالطب أو بأنواع بالإعلام، أو غيرها. وألف العرب في القرون الوسطى فهذا التخصص ، مثل كتاب الحيوان للدميري (ت 1405م) الذي جمع فيه أسماء الحيوان والحشرات والزواحف والطيور، والتذكرة لداود الأنطاكي الضرير(ت1600م)، الذي كتب في العقاقير والأعشاب الطبية . [1]

7- دوائر المعارف أو الموسوعات، والمعجم منها يسمى معلمة، وهي حديثة التأليف ملمة المادة والموضوعات.

8 – المعاجم المصورة، وهي المعاجم التي تستعين بالصور الحسية للاستعانة في تبسيط وتوضيح المعاني ، وهو ما عمل به المنجد منذ سنة 1908م ، وأكد على العمل به المعجم الوسيط .

مصادر ومراجع المداخلة :

المصحف الشريف برواية ورش عن نافع .

1--ابن سلام وطبقات الشعراء ، تحقيق منير سلطان ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1997 م

2-أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ، تحقيق عبد الرحمان محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

3-أصول اللغة العربية حروف المعجم ، أحمد زرقة ،منشورات دار علاء الدين ، ط01، دمشق.

4-البيان والتبيين الجاحظ ، دار دار التراث العربي ، بيروت لبنان، بدون تاريخ .

5- تاريخ الآداب العربي ، العصر العباسي الأول ج1 ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر.

6-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج ، دار الفكر العلمية ، بيروت لبنان ، ط01، 1418هـ- 1997م.

7- ضحى الإسلام ج 1 ،2 ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان ، ط8،10- عبقري من البصرة مهدي مخزومي، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، ط02، 1406هـ- 1986م.

9- فقه اللغة علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر العجالة القاهرة ، ط07.

10- الفهرست ابن النديم، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له، يوسف علي طويل ووضع فهارسه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط06، 1416هـ- 1996م .

11 –القاموس المحيط ج 1 ، الفيروز أبادي أ دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .

12- كلام العرب من قضايا اللغة العربية،حسن ظاظا ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1976م.

13-لسان العرب ابن منظور ، نسق وعلق عليه ووضع فهارسه علي مشري ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

14-اللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب.

15- المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية مكي درار،دار الأديب للنشر والتوزيع ، ط02، وهران

16-مجمل مقاييس اللغة ابن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت لبنان .

17-مدخل إلى علم اللغة محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ -2000م.

18- المعاجم العربية بداءتها وتطورها راميل يعقوب ،دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، ط01، 1981م.

19- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، ط01، دار النهضة العربية للطباعة وللنشر.

10- المعجم الوسيط ج2، مجمع اللغة العربية، ط02، مطابع دار المعارف بمصر 1393هـ- 1993م .

21 – مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي د / حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية الناشر،دار النهضة العربية للطباعة وللنشر،ط1997،01م.

22- من تاريخ النحو سعيد الأفغاني ، دار الفكر ،02، 1398هـ- 1978م.

23 – منهج البحث اللغوي، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإزريطة الإسكندرية مصر .

24 - – مولد اللغة العربية أحمد رضا، قدم له وعلق عليه ولده نزار رضا، دار الرائد العربي ، بيروت لبنلن ، 1403هـ- 1983م.